أثر فوضى الفتاوى الفقهيـــــة في الخطاب الدّعـوي

أ. عبد العزيز أحمد عبد الله ـ كلية الدّراسات الإسلامية ـ الجامعة الأسمرية الإسلاميـــــة سبها-

الإيميل abd1ulaziz2ahmad3@gmail.com

تاريخ الارسال 2025/9/29م تاريخ لقبول 2026/1/15م

The Impact of Confusing Jurisprudential Fatwas on Da'wah Discourse

Abdulaziz Ahmed Abdullah - Faculty of Islamic Studies - Al-Asmariya Islamic University, Sebha

Emailabd1ulaziz2ahmad3@gmail.com

Abstract

Religious discourse stability is a crucial pillar of security, a tool of religious outreach, and an essential condition for societal success and peaceful cohabitation. The disarray in current jurisprudential fatwas is a troubling subject that requires further investigation and analysis, since it is one of the most important forms of contemporary religious discourse in its numerous manifestations.

This study seeks to identify the idea of chaos in jurisprudential fatwas, comprehend its causes, explain its impact on religious discourse, and provide solutions to eliminate it .

In writing this research, I used a descriptive-analytical technique, examining some of the fatwas circulating in religious media and investigating their effects on religious discourse in Muslim culture.

This study concluded that the anarchy of jurisprudential fatwas has contributed to the divergence of modern da'wah discourse and undermined the intellectual stability of the Islamic nation. One of the research's key recommendations is that Islamic governments form a collective authority for fatwas, particularly on national matters that affect the Muslim community.

Keywords: Chaos, Fatwas, Jurisprudential, Da'wah Discourse

الملخـــــــــص :

يُعدّ استقرار الخطاب الدّعــوي ركيزة أساسية لاستتباب الأمن ووسيلة لتحقيق الدعوة وشرطا لازما لازدهار المجتمعات وبث روح التعايش السلمي فيها. والفوضى في الفتاوى الفقهية المعاصرة تعد إشكالية دعوية جديرة بالبحث والدراسة لأنها إحدى أهم صور الخطاب الديني المعاصر بحيثياته المختلفة.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم الفوضى في الفتاوى الفقهية ومعرفة أسبابها وبيان آثارها على الخطاب الدعوي وسبل القضاء عليها.

ولقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل بعض الفتاوى المتداولة في وسائل الاتصال الدّعوية ودراسة تأثيراتها على الخطاب الدعوي في المجتمع المسلم.

وخلص هذا البحث إلى أن فوضى الفتاوى الفقهية ساهمت في تباين الخطاب الدعوي المعاصر وزعزعت الاستقرار الفكري للأمة الإسلامية. ومن التوصيات المهمة للبحث هو أن على الحكومات الإسلامية ضرورة إيجاد مرجعية جماعية للفتوى، خاصة في القضايا التي تمس عموم الأمة ويطال تأثيرها سواد المسلمين.

الكلمات المفتاحية : فوضى ، الفتاوى ، الفقهيـــــة ، الخطاب الدّعـوي

المقدمـــــــة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين وبعد :

يعد استقرار الخطاب الدعوي ركيزة أساسية لاستتباب الأمن ووسيلة لتحقيق الدعوة وشرطا لازما لازدهار المجتمعات وبث روح التعايش السلمي فيها .

وبما أن الباعث الشرعي هو الذي يحرك الجوارح ويهذب الأخلاق ويزكي النفوس ، ويكبح جماح الغرائز ويحفز المسلم على العمل الصالح ، فإن هذا الخطاب لا بد وأن يكون منضبط بضابط الشرع صادرا عن أهل الاختصاص ، وبما أن الفتاوى الفقهية هي أحد تلك الركائز الدعوية التي تستمد سلطانها من الشرع ، مما يجعلها من أهم مقومات استقرار المجتمع المسلم ، لأنها تحافظ على نسق المجتمع المسلم الفكري ، وتحمي منظومته السلوكية ، وتبين الأحكام الشرعية في كل نازلة تستجد في المجتمع ، وتبعد أفراده عن مواطن الخلاف التي غالبا ما تؤدي إلى التنازع في أمور الدين ، الشيء الذي من شأنه أن يحفظ المجتمع من التقسيم إلى شيع وأحزاب يلعن بعضها بعض ويستبيح بعضها دماء بعض دون حق شرعي .

والفوضى في الفتاوى الفقهية المعاصرة تعد إشكالية دعوية جديرة بالبحث والدراسة لأنها إحدى أهم صور الخطاب الديني المعاصر بحيثياته المختلفة والمتمثلة في كثرة عدد المسلمين وتباين ثقافاتهم واختلاف لغاتهم وظروفهم ـ السياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ وكذلك تغير الظروف والمناسبات والعادات والأعراف

وتناهي النصوص وتجدد الوقائع مما يجعل الفتوى تمثل منعرجا خطيرا في حياتهم ، ويحتاج من يتصدى لها إلى سياسة شرعية مراعية لكل ما ذكر من التفاوت والاختلاف ، مع الإلمام والإحاطة بأسس التشريع الإسلامي ، المتمثلة في التيسير ورفع الحرج، والتدرج في التشريع ، ومسايرة الحوادث والمستجدات .ولا شك أن هذا وما في حكمه يجعل للفتوى أثر كبير على الرأي العام وتوجهاته ، فكلما كان المفتي محترسا متحريا للدقة والأمانة في النقل كان أقرب إلى إبــراز فكر وفقه يتسم بالوسطية والاعتدال ، وكلما كان المفتي غير مبال كلما كانت فتواه مجانبة للصواب ، وتحدث فوضى في المجتمع .

والمتتبع لوسائل الإعلام المختلفة يلاحظ أن هناك فوضى عارمة في الفتاوى الفقهية فبعض المتصدرين للإفتاء من العلماء والدعاة يجانبهم الصواب في أغلب الأحيان حيث نجد بينهم الجاهل والمتعصب والمسيس وطالب الشهرة والمال .

وعلى كل حال مما تجدر الإشارة إليه أن الفوضى في الفتاوى الفقهية التي نلمحها في وسائل الإعلام في هذا الزمان لها تأثير خطير على الخطاب الدعوي وتكوين الرأي العام للمجتمع ، الأمر الذي قد يسبب الافتراق والاقتتال بين أفراده .

أهمية الموضوع : للفتوى أهمية كبيرة في حياة المسلمين ، وخطرها عظيم فالمفتي قائم مقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ في التشريع ، وهو نائب عنه في تبليغ الأحكام الشرعية للناس ، يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ**" لِيُبْلِغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"**(1) ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **بلغوا عني ولـــو آية** "(2)، والفتوى لها خطرها على المفتي والمستفتي حين تحيد عن أصولها وضوابطها ، فعندما يفتي المفتي بغير نظر لمقاصد الشرع فإنه يوقع الضرر عليه وعلى مستفتيه ، ولعظيم خطرها ، فإن السلف الصالح كانوا يتورعون عنها ، ويشفقون على أنفسهم منها إشفاقا كبيرا امتثالا لأمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **أجرؤكم على الفتـــــوى، أجرؤكم على النار**"(3) ، فالفتوى أمرها عظيم ، ولا يقوم بها إلا من توفرت فيه شــروط وضوابط الإفتاء ، لأن الإفتاء : هو إظهار الأحكام الشرعية بالانتزاع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، والمفتي : هو: العالِم بالأحكام الشرعية وبالقضايا والحوادث، والذي رزق من العلم والقدرة ما يستطيع به استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها وتنزيلها على الوقائع والقضايا الحادثة(4)

ومن هنا فإن الإفتاء هو الثمرة العملية للاجتهاد, وهو الميدان الذي يتم فيه تنزيل

النصِّ الشرعي على الواقع بعد تصويره وتكييفه؛ فاستحق أن يستقل بقواعد تنظِّم ممارسة الفتوى, وتضمن سلامتها؛ ومن ذلك ألا تأتي الفتوى مخالفةً لنصٍّ أو إجماع(5) ، الأمر الذي من شأنه أن يقلل من الفوضى في الفتاوى الفقهية ، وبما أن الاختلاف واقع بين العلماء في المسائل الفرعية ، التي يجوز الاختلاف فيها ، فعلى المفتي أن يراعي اختلاف الفقهاء في المسائل التي يستفتى فيها ، ويفتي بما يتقوى عنده بالدليل ويراه صوابا ، لدا قبل الحديث عن آثار فوضى الفتاوى الفقهية في الدعـــوة ، سوف أتحدث عن أسباب الفوضى في الفتاوى الفقهية .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في كيفية معرفة نسبة تأثير الفوضى في الخطاب الدعوي ، وما مدى التباين والافتراق الذي تحدثه في المدعوين ، وما مدى مصداقية الداعية والتقه التي تعطى لوسائل الدعوة في العصر الحديث .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى استعراض أثر الفوضى في الفتاوى الفقهية على الخطاب الدعوي ، وكيف يمكن أن تؤثر هذه الفوضى على سلوك المجتمع بشكل عام وعلى فاعلية الدعوة بشكل خاص .

منهج البحث :

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل بعض الفتاوى المتداولة في وسائل الاتصال الدعوية ودراسة تأثيراتها على الخطاب الدعوي في المجتمع المسلم .

خطة البحث :

سوف أقوم في هذا البحث بتحديد مفهوم فوضى الفتاوى الفقهية وأسبابها وخطرها وآثارها وسبل معالجتها ، وفق التقسيم التالي : المبحث الأول : مفهوم فوضى الفتاوى الفقهية وأسبابها . والمبحث الثاني : آثار فوضى الفتاوى الفقهية ،والمبحث الثالث : سبل القضاء على فوضى الفتاوى الفقهية .

المبحث الأول ـ مفهوم فوضى الفتاوى الفقهية :

مفهوم الفوضى : الفوضى تعني : الاختلاط وعدم الترتيب ، يقال : الأمر فوضى بينهم : أي مختلط بعضه ببعض ، والمال فوضى بينهم أي مختلط من أراد منهم شيئا أخذه(6)، وقوم فوضى : أي متفرقون لَيْسَ لَهُم رَئِيس يقودهم أو يجمعهم فيصدروا عن

أمره وينتهوا إلى رأيه (7) ، قَالَ الأفوه الأودي

(لَا يصلح النَّاس فوضى لَا سراة لَهُم وَلَا سراة إذا جهالهم سادوا)
(تلفى الأمور بأهل الرشد ما صلحت ...فإن تولت فبالجهال تنقاد)(8)

وَيُقَال مَالهم ومتاعهم فوضى بَينهم إِذا كَانُوا شُرَكَاء فِيهِ يتَصَرَّف كل مِنْهُم فِي جَمِيعه بِلَا نَكِير(9) ، ونقصد بها هنا تعارض وتضارب الفتاوى وعدم الانضباط والاتساق والالتزام بالأسس والمبادئ في استنباط الفتاوى الفقهية والدعوة إليها .

2- تعريف الفتوى الفقهية لغة واصطلاحا :

الفتـــــــوى لغة : الفتوى بالواو مع فتح الفاء ، أو هي الفتيا بالياء مع ضم الفاء تعني مطلق الإجابة عن السؤال ، فأقول استفتيت فلانا في الأمر ، أي طلبت منه الإجابة عن سؤال(10)

الفتـــــــوى اصطلاحا : مصطلح الفتوى يأتي لعدة معان نذكر منها :(الإبانة ، الإجابة ، التعبير ، البيان ، الإيضاح ، إحداث الأحكام)(11) ، غير إنها استخدمت في الاصطلاح الفقهي للدلالة على إجابة الفقيه السائل عن حكم شرعي(12) ، فأصبح لفظ الفتوى أو الفتيا خاصا بإجابات أهل العلم على ما يعرض لهم من مسائل ونوازل شرعية ، وقيل هي : (بيان حكم الشرع في الواقعة التي يسأل عنها المفتي أو الفقيه)(13) ، وقيل هي : (إخبار عن الله تعالى في إلزام أو إباحة)(14).

لا شك أن مسألة الفتوى من أشد المسائل وأصعبها وأن المتصدر للفتوى ينبغي أن يتعلم الأحكام الشرعية مع أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ناهيك عن مقاصد الشريعة وفقه الواقع ومعرفة سبب اختلاف الفقهاء وأدلة هذا الاختلاف والقدرة على الترجيح بينها . ويجب على المفتي المعاصر أن يدرس العلوم الشرعية مع غيرها من العلوم كالاقتصاد والطب والفلك والسياسة وغيرها من العلوم ، لأن الفتاوى لا تقتصر على الجانب الفقهي من الشرع فقط .

وليس يخفى عليك خطر مقام الفتوى وعظم أهميتها ، فالمفتي هو القائم مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - في التبليغ عن رب العزة ، يقول النووي (15): في بيان خطر هذا المقام : (اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل ، لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطأ،

ولهذا قالوا المفتي موقع عن الله تعالى"(16) ، ومما يزيد في توضيح خطر هذا المقام أن الله أسند الفتيا إلى ذاته حيث قال :﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**﴾ (17)

3ـ واقع الفتاوى الفقهية وأنواعها :

أولا ـ واقـــع الفتاوى في عصرنا الحاضر : من المعلوم أن المجتمع الإسلامي كغيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى يؤثر ويتأثر بما حوله ، ومما شك فيه أن ما حصل ويحصل في الفترة الأخيرة من تقدم معرفي وثورة غير مسبوقة في مختلف المجالات وفي مجال الاتصال والتواصل على وجه الخصوص كان له الأثر البالغ في حياة المسلم المعاصر ، يضاف إلى ذلك ما أصبح يواجهه العالم الإسلامي من تحديات خطيرة تتعلق بتوظيف أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي في استخدام الفتاوى ، لذلك يكون من الطبيعي أن تشتد حيرة المسلم ، وتتنوع مصادره الفقهية ، وتختلف ردات فعله وفقا لتكوينه المعرفي ، ومدى استيعابه للمستجدات والتأقلم مع المتغيرات .

وهذا الواقع من شأنه أن يزيد من الخلاف المذموم بين أفراد المجتمع الواحد ، ومما زاد الفوضى في الفتاوى الفقهية ما تشهده الساحة من انفلات إعلامي غير مسبوق ، حتى وإن اجتهدت بعض وسائل الإعلام الرسمية في تقديم أفضل ما عندها ، إلا أن أغلب وسائل الإعلام اليوم حولت برامجها غير المسؤولة إلى وسيلة من وسائل زرع الخلاف والتكسب المادي والشهرة .

ثانيا : أنواع الفتاوى الفقهية : أولا : الفتاوى الفردية : وهي تلك الفتاوى التي تصدر عن بعض المجتهدين أو الدعاة

ثانيا : الفتاوى الجماعية : وهي تلك الفتاوى التي تصدر عن المجامع والهيئات الفقهية ، مثل : مجمع الفقه الإسلامي أو الهيئات والمؤسسات الشرعية .

4ـ أسباب الفوضى في الفتاوى الفقهية :

أولا ـــ وسائل الإعـــــلام : لقد أتاح تقدم العلم وظهور العديد من وسائل الاتصال بالجماهير لأي شخص أن ينقل ويصدر الفتاوى حتى وإن لم يكن من أهل العلم والراسخين فيه وهذا هو أهم سبب من أسباب الفوضى الفقهية

ثانيا ـــ الغـــرور وحب الظهور : لقد فتك هذا المرض ببعض طلبة العلم الشرعي مما جعلهم يتصدرون للفتوى قبل النضج والاستواء بهدف جذب الجمهور والمتابعين في وسائل التواصل الاجتماعي والحصول على الشهرة ، فهناك من الدعاة والعلماء من يحب أن تصفق له الجماهير ويرفع فوق الأعناق فهو يظن أنه قد صار بما أفتى

قائدا لتلك الجماهير وهو في الحقيقة قد أسلمها نفسه وصارت هي التي تجره حيث أرادت وتفرض عليه إرادتها ، وفي الوقت نفسه يظن بعضهم أنه إذا أرضى حاكما بفتواه ومكن له الحاكم أنه خدم الإسلام والمسلمين وكلا الفرقين يحتاج إلى إصلاح نفسه بالتزكية ومعرفة مقاصد الشريعة(18).

ثالثا ـ غياب الرقابة على الفتاوى : لا شك أن عدم وجود آلية لمراقبة الفتوى في الإعلام ووسائل الاتصال يعتبر عامل من عوامل فوضى الفتاوى الفقهية ، فترى بعض القنوات الفضائية جعلت برامج الدين مصدرا للتكسب والشهري

رابعا : جهل بعض الدعاة والعلماء بمواطن الخلاف الفقهي بين المذاهب :

وذلك أن الجهل بالخلاف قد يؤدى إلى رد بعض الحق الذي لا يعلمه؛ إذ إن الحق غير منحصر في قول مجتهد واحد من علماء الأمة كائنا من كان، ولذلك روى عن عثمان بن عطاء عن أبيه قوله: (لا ينبغى لأحد أن يفتى الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس؛ فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه)(19) ، وجهل الداعية والمفتي بالخلاف يجرئه على ترجيح ما ليس براجح، واستسهال أمر الفتيا والتحليل بمجرد أن يطلع على نص في الموضوع دون أن يبحث هل ثمة نصوص أخرى تخصصه أو تنسخه أو تقيده. وهذا مدعاة إلى الفوضى التي لا نهاية لها، وإلى إثارة الفتنة في صفوف الناس الذين لا يطيقون كثرة التنقل من قول إلى قول، ومن رأي إلى رأى، خاصة إذا كان مع كل قول دليل، وهذا أمر مشاهد ملموس ينبغي التنبه إليه. ولذلك كان التابعي الجليل أيوب السختيانى - رحمة الله تعالى - يقول: (أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما باختلاف العلماء. وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء)(20).

خامسا : التجرؤ على الفتيا من عامة الناس وغير المؤهلين للإفتاء : إن الواجب على من ينصب لإفتاء الناس أن يكون متمكنا من الأصلين الكتاب والسنة وعلوم العربية ، متبحرا في الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة ، وذا معرفة بالقياس وعلله ومواضع الإجماع والاختلاف ومنازعه ، مطلعا على أحوال الناس وأعرافهم ، وذا دربة وحدق وممارسة للفتوى والنوازل ، مع الورع والتقوى وخشية الله .

وحال الكثير من المفتين في هذا العصر على غير هذا المسلك السوي حيث كلنا نرى من اقتحموا هذا الميدان وخاضوا غمار هذا البحر دون أن يتأهلوا له وبعضهم ليس من أهل الاختصاص أصلا ، وقد حذر الله تعالى من الفتوى بغير علم في قوله - تعالى : ﴿

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾(21)، ولكن غياب العلماء الربانين عن الساحة الدعوية اليوم ، جعل أنصاف المتعلمين يملؤون هذا الفراغ ، ممن لا يملكون التحصيل العلمي والمعرفة بفقه الواقع ومقاصد الشرع وضوابط الافتاء ، الشيء الذي جعلنا نرى فتاوى تخالف النصوص الشرعية والاجماع ، مما تسبب في فوضى فقهية عارمة في أوساط الناس .

ومن أمثلة الفتاوى الصادرة عن غير المؤهلين للإفتاء :

فتوى بأن توثيق عقد الزواج ليس واجبا ، وذلك اعتمادا على ما هو مسطور في كتب الفقه ، ولكن ذلك يؤول إلى خصومات وربما حرمان المرأة من حقوقها وحرمان الأولاد من نسبهم ، لعدم توثيق العقد ، وذلك لخراب الذمم وقلة الورع الديني عند كثير من الناس ، فلو التفت هذا المفتي الذي قال هذه الفتوى إلى المآلات التي تترتب على فتواه لما تجرأ على ذلك(22)

سادسا ـ التعصب للمذاهب الفقهية والطوائف الدعوية وبعض الدعاة والعلمـــــاء :

إن انتشار التعصب للمذاهب الفقهية والعلماء بين الناس فضلا عن الدعاة زاد من فوضى الفتاوى الفقهية ، فبعض الدعاة والعلماء اليوم تجده متعصبا لرأي إمام مذهبه ويفتي به ويدعو إليه حتى وإن كان على خطأ بل وإن كان الحق في مذهب غيره ، وبعض الشباب اليوم قد رفعوا طائفة من العلماء ممن يظن فيهم الإخلاص والصلاح إلى درجة العصمة فأعموا أبصارهم وأصموا آذانهم عن فقه أيمة المذاهب ، وياريتهم وقفوا عند ذلك بل رفعوا لواء الولاء والبراء لمن لا يتبع منهجهم أو لا ينتمي إلى طائفتهم أو لا يقول بقول أئمتهم وهذا المرض ليس له دواء إلا العلم.

سابعا ـ منهج الجرح والتعديل الذي رفع رايته بعض الدعاة اليوم :أسقط طائفة كبيرة من العلماء المعاصرين من أعين فئة كبيرة من الناس ، وفتح باب التنقص والطعن فيهم ورميهم بالبدعة والضلال مما جعل أقوالهم غير مسموعة وفتاويهم غير متبوعة ، فزاد ذلك من فوضى الفتاوى الفقهية في المجتمعات الإسلامية

المبحث الثانـــي ـ آثار فوضـــى الفتاوى الفقهية :

1ـ أثر فوضى الفتاوي على الخطاب الدعـــــوي : لقد أسهمت الفتاوى المتناقضة غير المدروسة في تباين الخطاب الدعوي وأضعفت من فاعليته وتأثيره في الجمهور ، مما تسبب في فقد التقه والمصداقية في الدعاة والعلماء ودور الإفتاء والمؤسسات

الدعوية(23)

2- أثر فوضى الفتاوى على قدرة الدعوة في التأثير على الجمهور: لقد أدت فوض الفتاوى الفقهية إلى إضعاف تأثير الخطاب الدعوي ويظهر ذلك في عدم قدرة الدعاة اليوم على التأثير في الأفراد والمجتمعات ، خاصة عند ما تتضارب الآراء الفقهية ، ونضرب لذلك مثلا زكاة الفطر والاختلاف الحاصل في صفة إخراجها ، وكيف أثر هذا الخلاف على استجابة الجمهور لبعض الدعاة ، وهذا من شأنه أن يزيد من الخلاف في المجتمع ويعزز التطرف والتشدد في الأوساط الدعوية .

3- أثر فوضى الفتاوى الفقهية على الداعية والمجتمع : لا شك أن الداعية أو المفتي هو جزء من المجتمع وأن غياب الثقة بينه وبين أفراد المجتمع يقلل من تأثيره الدعوي ويجعل المجتمع متذبذب فقهيا سواء في أعماله التعبدية أو تفاعله مع الدعاة والعلماء .

كما أدت فوضى الفتاوى الفقهية إلى تمزيق المجتمعات وتفكيك أواصر المحبة في قلوب أفرادها ، بل إنها أسهمت في كثير من المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات اليوم مثل التطرف والغلو والارهاب والتعصب للشيوخ . ولا شك أن لفوضى الفتاوى الفقهية آثار سلبية على المجتمع بدءا من الحيرة والتذبذب بين أفراده وصولا إلى الفتن والنزاعات بين الطوائف والجماعات التي تصل إلى حد التفسيق والتكفير والتصفية الجسدية(24) ، وما من شك أن كل الذي يحدث يؤول إلى عدة نتائج نخص بالذكر منها ما يلي :

أولا ـ التشــويش على العامــة : من آثار فوضى الفتاوى الفقهية التشويش على الرأي العام لدى المسلمين مما يؤدي إلى حالة من الارتباك نتيجة لتباين الآراء الفقهية، وهذا بدوره يقود إلى تشويه صورة دور الافتاء الرسمية والدعاة والفقهاء في المجتمع(25)

ثانيا ـ إثارة الانقسام الطائفي والتعصب المذهبـــي : لقد أسهمت الفوضى في الفتاوى الفقهية في نشر الفرقة بين المسلمين والتعصب للأشخاص والمذاهب خاصة تلك الفتاوى التي تدعو إلى التشــدد والتقسيم المذهبي وتصف المخالف بأنه ليس من أهل السنة والجماعة .

ثالثا ــ زعــزعت المجتمع اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا : لقد ساهمت فوضى بعض الفتاوى الفقهية غير المدروسة خاصة تلك الفتاوى المتناقضة المتضاربة التي يحرم أصحابها الديمقراطية مطلقا أو يدعون فيها للمقاطعة الاقتصادية أو لتغيير

الاعراف الاجتماعية التي لا تخالف الشريعة الإسلامية (26)

ومن أمثلة ذلك : فتوى تكفير من لم يحكم بما أنزل الله بالإطلاق :

تعتبر هذه الفتــوى من أكثر الفتاوى المعاصرة التي كان لها أثر كبير في زعزعة استقرار المجتمعات المسلمة، والقول بكفر الحكام ومناصريهم من العسكريين والقضاة ، ثم تكفير المجتمع بناء على أن من لم يكفر الكافر فهو كافر ، وهذه الفتوى نطق بها بعض الخوارج في القرن الأول للإسلام ولا تزال تكتوي الأمة بنارها إلى يومنا هذا ، ومما ترتب على تلك الفتوى القول بوجوب جهاد الأنظمة الحاكمة .

4- أثر فوضى الفتاوى الفقهية على دور الافتاء والمجامع الفقهية : وهي المراكز المهمة التي تكتسب ثقة المجتمع وتستطيع التأثير في سلوكه ، فقد تسببت فوضى الفتاوى الفقهية في انعدام الثقة بين المجتمع ومؤسسات الافتاء الأمر الذي زاد من استيراد الفتاوى من خارج المجتمع والتي لا تتناسب مع طبيعته وأعرافه . ولعلاج هذا السبب يجب إعادة الثقة في مؤسسات الافتاء ، ويكون ذلك بإصلاح المؤسسات الرسمية للفتوى وتقويتها بالعلماء وإعادة تأهيل القائمين عليها ومراقبة ما تصدره من فتاوى وقطع الطريق أمام المتطفلين على مقام الفتوى(27).

المبحث الرابع ـ سبل القضاء على فوضـــــى الفتاوى الفقهية :

1- المرجعية الفقهية : لا بد من وجود مرجعية فقهية موحدة أو مؤسسات دينية معترف بها تكون مسؤولة عن إصدار الفتاوى ، وقادرة على تصحيح المفاهيم وتكوين الرأي السليم لدى المجتمع ، وبدون ذلك فإن هذه الفوضى سوف تستمر في تمزيق وحدة الأمة ، ولعلاج ذلك لابد من تنسيق الفتاوى والحد من تباين الآراء فيها ، ويكون ذلك عن طريق المرجعية الفقهية خاصة في القضايا الفقهية التي تلامس عموم المجتمع ويطال تأثيرها سواد المسلمين وتحتاج إلى فتاوى سريعة ومباشرة تحسم الخلاف وتجمع الكلمة ، خاصة في تلك القضايا التي تتعلق بالجهاد والدماء الناتجة عن الخروج على الحكام وولاة الأمر ، وهذا من شأنه أن يقلل من فوضى الفتاوى الفقهية ويحد من تأثيرها على المجتمع ، مما يزيد التأكيد على ضرورة وجود مرجعية دينية في المجتمع .

2- القوانين التنظيمية : لا بد من وضع القوانين والتدابير لمنع الأنظمة السياسية من استغلال وتوظيف العلماء والدعاة ودور الافتاء لخدمة مصالحها الشخصية ، كذلك منع الجماعات الإسلامية من استخدام الفتاوى الفقهية في تحقيق أهدافها الحركية .

3- التعليم والتدريب : يجب أن يكون المفتي أو الداعية مؤهلا علميا وشرعيا لإصدار الفتوى ويكون ذلك بتدريب العلماء والدعاة على آليات الاجتهاد الفقهي السليم وفهم الواقع المعاصر ، وتصحيح بعض المفاهيم الدينية في المدارس والجامعات الإسلامية لتوعية الشباب المسلم بفهم الدين بشكل معتدل ومتوازن ، مع ضرورة تدريس الفقه المقارن لتوعية المسلمين بأن هناك آراء فقهية متعددة في بعض المسائل .

4- إشراك وسائل الإعلام في نشر الفتاوى المدروسة : لقد أسهمت بعض وسائل الإعلام في الترويج لبعض الآراء الفقهية الشاذة وهدم الوحدة المذهبية السائدة في بعض أقطار العالم الإسلامي ، كما ساهمت في إثارة الشكوك وخلخلة الثقة بفتاوى العلماء المعتبرين ونشر ثقافة تتبع الرخص ، وعلاج ذلك يكون بوضع برامج دينية في وسائل الإعلام تهدف إلى نشر الفتاوى الشرعية الصحيحة الصادرة عن العلماء المتخصصين .

الخاتمة :

في ختام هذا البحث فقد توصلت فيه إلى عدة نتائج وتوصيات :

أولا ـ النتائـــــج :

1- إن فوضـــــى الفتاوى الفقهية تسهم في تباين الخطاب الدعوي وزعزعة وحدة الأمة الفكرية .

2- إن وجود مؤسسات دينية معتدلة وقادر على إصدار فتاوى مدروسة يسهم بشكل كبير في تعزيز وحدة الأمة الفكرية والدينية والتقليل من الفوضى الحاصلة في الفتاوى الفقهية .

3- ضرورة تكامل الأدوار بين العلماء والمؤسسات الدعوية ووسائل الإعلام .

4- ضرورة نشر الوعي بين الناس بأهمية استفتاء العلماء الموثوقين ، وإعلامهم أن استفتاء أنصاف المتعلمين المتطفلين على مقام الفتيا لا يبرئ الذمة أمام الله تعالى .

5- إن خروج العلماء الربانيين الصادقين وتصدرهم للفتيا والقيام بالواجب الذي أخذه الله عليهم من شأنه أن يقلل من فوضى الفتاوى الفقهية .

6- إن الاجتهاد الجماعي له أهمية بالغة في ضبط الفتوى والبعد بها عن الشطط والاضطراب خاصة في عصرنا هذا الذي كثرت فيه فوضى الفتاوى الفقهية .

ثانيا : التوصيات :

1- ضرورة إيجاد مرجعية جماعية للفتوى خاصة في القضايا التي تلامس عموم الأمة

ويطال تأثيرها سواد المسلمين ، مثل : القضايا المستجدة في البيوع والصيام وغيرها ، وعدم ترك الناس في حيرة من أمرهم تجاه هذه القضايا .

2- إصلاح المؤسسات الرسمية للفتاوى وتقويتها بالعلماء الثقات وترشيح العلماء المؤهلين للفتوى .

3- عدم قبول فتوى العالم إذا كان بينه وبين من أفتى عداوة ، وكذا الشأن بالنسبة إلى الجماعات والحركات الإسلامية المتصارعة .

4- ضرورة وضع تدابير لمنع الأنظمة السياسية من توظيف الفتوى لخدمة مصالحها الآنية ، والجمعات الإسلامية من استغلال الفتوى في تحقيق أهدافها الحركية.

5- يجب على ولي أمر المسلمين في كل قطر من معاقبة الذين يفتون من غير تأهيل من أصحاب الفتاوى التحريضية ، كما يجب عليه أن لا يولي الفتيا إلا من توفرت فيه شروطها .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــش :

1 ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تح : محمد زهير بن ناصر ، ن : دار طوق النجاة ، ط1 ، رقم الحديث : 1832 ، ج3 ، ص 108

2 ـ صحيح البخاري ، البخاري ، رقم الحديث : 3461 ، ج4 ، ص 170

3- مسند الدارمي ، أبو محمد عبد الله الدارمي ، تح : حسين سليم أسد الداراني ، ن : دار المغني للنشر والتوزيع ، ط1 ، رقم الحديث 159 ، ج 1 ، ص 258

4 ـ ينظر : المدخل إلى الفقه الإسلامي ، صلاح محمد أبو الحاج ، وآخرون ، ن : جامعة آل البيت، ط1، 2007 ، ص 280

5- ينظر : معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، ج 33 ، ص 69

6 ـ ينظر : تاج العروس ، الزبيدي ، ن: دار الهداية ، ج18 ، ص 496 ،

7- ينظر : غريب الحديث ، الخطابي ، ن : جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ج2 ، ص 531

8- ديوان الأفوه الأودي ، الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي، صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني ، تح : محمد ألتونجي ، ن : دار صادر ، ص 66

9- ينظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ن : دار الدعوة ، ج 2 ، ص 706

10- ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ،ن : دار صادر – بيروت، ط 3 ، ج 15 ، ص 145

11- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ن : دار السلاسل ، ط2 ، ص 20 وما بعدها

12- ينظر : معجم الفقهاء ، محمود رواس قلعجي ، ن : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، ص 339

13- الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، شهاب الدين القرافي ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، ن : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ـ لبنان ، ج1 ، ص 43

14 ـ الذخيرة ، أحمد بن إدريس القرافي ، تح : محمد صبحي وآخرون ، ن : دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، ج 10 ، ص 121

15- يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي (631 - 677 هـ) ، ينظر : معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ن: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ج 13 ، ص202

16- المجموع شرح المهذب ، النووي ، تح : محمد نجيب المطيعي ، ن : دار الفكر ، ج1 ، ص 72

17 ـ سورة النساء ، الاية : 176

18 ـ ينظر : تغير الفتوى بين الانضباط والفوضى ، طه جابر العلواني ، ن : مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة http://www.pdffactory.com

19- جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تح : أبي الأشبال الزهيري ، ن : دار ابن الجوزي ، ط1 ، ج2 ، ص 816 ، رقم الحديث 1524

20- جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تح : أبي الأشبال الزهيري ، ن : دار ابن الجوزي ، ط1 ، ج2 ، ص 816 ، رقم الحديث 1525

21- سورة النحل ، الآية ، 116

22- ينظر : فوضى الفتاوى الإلكترونية أسبابها ـ نتائجها ـ سبل القضاء عليها ، سمحاء عبد المنعم أبو العطا عطية ، ن : د ، ن ، ص 16

[2]3 . انظر : تضارب الفتوى وأثره في مصداقية الخطاب الإسلامي ، محمد الخلايله ، مقال على موقع دار الإفتاء العام ، الأردن ، تاريخ النشر 15 /2 / 2016 ف

[2]4 . انظر : الفتوى ضوابطها وآثارها ، عبد الرحمن بن حسن ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، تاريخ النشر 22 / 1 / 2007 ف ، العدد 9 ، ص 168 وما بعدها

25 . انظر : فوضى الإفتاء بين المفهوم الأسباب والآثار وسبل علاجها في الشريعة الإسلامية ، خالد علي بني أحمد ، المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية ، ، تاريخ النشر 1/1 / 2019 ف ، ص 60 وما بعدها

26 . فوضى الفتوى وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية ، منال بنت سليم بن رويفد ، مجلة الدراسات العربية ، ن : جامعة المنيا .كلية دار العلوم ، تاريخ النشر 1/1 / 2020 ف ، العدد 41 ، ص 57 وما بعدها

27 . انظر : فوضى الإفتاء بين المفهوم الأسباب والآثار وسبل علاجها في الشريعة الإسلامية ، خالد علي بني أحمد ، المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية ، مصدر سابق ، ص 63 وما بعدها